﴿التوبة إلى الله ﷻ﴾

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وكفى بها من نعمة ، ومنَّ علينا بالتوبة والغفران، إنه غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب، والصلاة والسلام على من بعثه الله – تعالى – هادياً للإسلام مبشراً ونذيراً، أشرف الخلق ﷺ أما بعد :

عباد الله ، أوصي نفسي وإياكم بتقوى الله وطاعته ، فقد وصانا ربنا بها فقال – ﷻ- :" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا" (الأحزاب : ٦٩-٧١) .

ثم أما بعد:-

يَا نَفْسُ تُوبي فإنّ الموتَ قدْ حانا

واعْصِ الهوى فالهوى ما زالَ فتّانا

أَما تَرَيْنَ المنايا كيف تلقطُنا

لَقْطاً فتُلْحقُ أُخْرانا بِـــــــأُولَانــا

وفِي كُلّ يَوْمٍ لَنَا مَيْتٌ نُشَيّعه

نَرَى بِمَصْرِعِهِ آثار موْتَانَا

أيها الإخوة الأحباب،،

اعلموا أن الذنوب حجاب عن المحبوب ﷻ ، والانصراف عما يبعد عن المحبوب واجب ، و الإجماع منعقد على وجوب التوبة، لأن الذنوب مهلكات مبعدات عن الله تعالى فيجب الهروب منها على الفور، و التوبة واجبة على الدوام فإن الإنسان لا يخلو عن معصية.

ولذا فموضوعنا اليوم معكم أيها الأحباب تحت عنوان:

﴿هَلمُّوا إلي ربكم﴾

وتتركز الخطبة علي هذه العناصر الأربعة:-

(١) الله ﷻ يدعو الكون كله للتوبة.

(٢)حال النبي ﷺ وأصحابه – رضي الله عنهم -.

(٣)الذنوب وهلاك الأمم قبلنا.

(٤) ورقة عمل.

و اللهَ أسأل لي ولكم التوبة الصادقة ، أيه الإخوة الأحباب :

(١)الله يدعوا الكون كله للتوبة:

(١)فلقد دعا الله ﷻ المشركين إلي التوبة.

قال الله تعالي: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ }[سورة التوبة: ١١].

(٢)ودعاء اليهود والنصاري:

الذين قالوا: { إِنَّ اللهَّ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ}[سورة آل عمران:١٨١] ، والذين قالوا: {يَدُ اللهِّ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ }[سورة المائدة: ٦٤] فقال عز وجل: {أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَىٰ اللهِّ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللهُّ غَفُورٌ رّحِيمٍ " [سورة المائدة: ٧٤].

(٣) ودعا – سبحانه – المنافقين إلي التوبة:

قال الله تعالي: { إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا }[سورة النساء: ١٤٦].

(٤)وفتح الله باب التوبة لأهل الكبائر:

قال تعالي: { إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ }[سورة المائدة: ٣٣]، فقال: { إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ }[سورة المائدة: ٣٤].

(٥)ودعا اللهُ ﷻ إلي التوبة المسرفينَ علي أنفسهم بالمعاصي:

قال تعالي: { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }[سورة الزمر: ٥٣].

(٦)وفتح الله ﷻ باب التوبة لأهل الشرك والقتل والزنا:

قال تعالي: { وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا } [سورة الفرقان: ٦٨].

ثم يفتح الله لهم باب التوبة ويقول: { إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا }[سورة الفرقان: ٧١].

(٦)دعاء المؤمنين الصادقين أصحاب النبي ﷺ بعد إيمانهم وهجرتهم وجهادهم وصبرهم إلى التوبة ؛ فقال تعالي: { وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }[سورة النور: ٣١].

• ولكن مع كل هذه الأمثلة التي تثلج الصدور وتفتح باب التوبة إلي الله العزيزالغفور، فلا ينبغي أن نتهاون بعواقب الذنوب والمعاصي، فإن الله كما وصف نفسه بأنه غفور رحيم فقد وصف نفسه بأنه شديد العقاب.

فقال: { اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ }[سورة المائدة: ٩٨]، وقال ﷻ{غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ} [غافر: ٣]،وقال ربنا تبارك وتعالى : {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ*وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ}[سورة الحجر: ٥٠].

(٢)حال النبي ﷺ وأصحابه:

تأمل أخي الكريم حال النبي ﷺ مع الاستغفار والتوبة وهو الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فعن الأغرّ بن يسار المزني ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : « يا أيها الناس توبوا الى الله، واستغفروه، فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة» (١)

-**والصديق** ﷺ يقول: "لوددت لو أني شعرة في جنب عبد مؤمن»، بل كان يمسك بلسانه ويقول:هذا الذي أوردني الموارد، وكان يبكي كثيراً ويقول: ابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا.

وكان إذا قام إلي صلاة كأنه عود من خشية الله ﷻ وقال: والله لو وددت أني كنت هذه الشجرة تؤكل وتعضد.

-**وهذا الفاروق عمر بن الخطاب** ﷺ :

قرأ سورة الطور إلي أن بلغ قولة:{إِنّ عَذَابَ رَبّكَ لَوَاقِعْ}[سورة الطور: ٧]. فبكي واشتد بكاؤه حتي مرض وعاده الناس، وقال لابنه وهو يموت:-«ويحك ضع خدي علي الأرض عساه أن يرحمني ثم قال:- ويل أمي إن لم يغفر الله لي (ثلاثاً)ثم قضي-أي : مات ».

-**وهذا أبو الدرداء** ﷺ :

كان يقول: لو تعلمون ما أنتم لا قون بعد الموت لما أكلتم طعاماً على شهوة، ولا شربتم شراباً علي شهوة، ولا دخلتم بيتا تستظلون فيه، ولخرجتم إلي الصعيد تضربون صدوركم وتبكون على أنفسكم ولوددت أن شجرة تعضد ثم تؤكل.

---

١ - رواه مسلم (٢٧.٢).

بك أستجير ومن يجير سواكا..... فأجر ضعيفاً يحتمي بحماكا

إني ضعيف أستعين على قوى..... ذنبي ومعصيتي ببعض قواكا

أذنبت يا ربي وآذتني ذنوب..... ما لها من غافر إلاكا

دنياي غرتني وعفوك شدني..... ما حيلتي في هذه أو ذاكا

رباه قلب تائب ناجاكا أترده وترد صادق ...توبتي حاشاك ترفض تائباً حاشاكا

فليرض عني الناس أو فليسخطوا..... أنا لم أعد أسعى لغير رضاكا

(٣)الذنوب وهلاك الأمم من قبلنا:

قال تعالي:- { وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ}[سورة الشوري: ٣٠].

أخي الحبيب :

هل سألت نفسك يوماً عن سبب هلاك الأمم من قبلنا!؟ أما علِمْت أنهم أُهلكوا بسبب إعراضِهم عن طاعة ربهم وعدم توبتهم!؟

وإذا لم تكن الذنوب هي سبب هلاكهم فما الذي أخرج الأبوين الكريمين – عليهما السلام- من الجنة دار اللذة والنعيم والبهجة والسرور إلي دار الآلام والأحزان والمصائب!؟

وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماوات، وطرده ولعنه ومسخ ظاهره وباطنه فجُعلت صورته أقبح صورة وأشنعها، وباطنه أقبح من صورته واشنع!؟

وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتي علا الماء فوق رؤوس الجبال!؟

وما الذي سلط الريح علي قوم عاد حتي ألقتهم علي وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاوية ودمرت ما مرت عليه من ديارهم إلي يوم القيامة!؟

وما الذي أرسل علي قوم ثمود الصيحة حتي قطعت قلوبهم في أجوافهم وماتوا عن آخرهم!؟

وما الذي رفع قوم (لوط عليه السلام) حتي سمعت الملائكة نبيح كلابهم ثم قلبها عليهم فجعل عاليها سافلها فأهلكهم جميعاً، ثم أتبعهم حجارة من السماء أمطرها عليهم فجمع عليهم من العقوبة مالم يجمعه علي أمة غيرهم، ولإخوانهم أمثالها وماهي من الظالمين ببعيد؟!

وما الذي أرسل علي قوم شعيب سحاب العذاب كالظلل فلما صارت فوق رؤوسهم أمطر عليهم ناراً تلظي؟!

وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر فنُقلت أرواحهم إلي جهنم فالأجساد للغرق والأرواح للحرق؟!

وما الذي خسف بقارون وداره وماله وأهله؟!

وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات ودمرها تدميراً؟!وما الذي أهلك قوم صاحب يس بالصيحة حتي خمدوا عن آخرهم؟!

وما الذي بعث علي بني إسرائيل قوماً أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وقتلوا الرجال وسبوا الذرية والنساء وأحرقوا الديار ونهبوا الأموال ثم بعثهم عليهم مرة ثانية فأهلكوا ما قدروا عليه وتبروا ما علو تتبيراً؟!

وما الذي سلط عليهم أنواع العقوبات مرة بالقتب والسلب وخراب البلاد، ومرة بجور الملوك، ومرة بمسخهم قردة وخنازير وآخر ذلك أقسم الرب تبارك وتعالي: {... لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } [سورة الأعراف: ١٦٧].

أخي الكريم تأمل هذا الحديث المهيب :

عن جبير بن نفير قال: «لما فتحت قُبْرص فُرِّق بين أهلها فبكي بعضهم إلي بعض، فرأيت أبا الدرداء جالساً وحده يبكي فقلت: يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟! فقال: ويحك يا جُبير !! ما

أهون الخلق علي الله عزوجل إذا أضاعوا أمره ، بينما هي أمة قاهرة ظاهرة الملك، تركوا أمر الله فصاروا إلي ما تري» (٢).

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب الأولين والآخرين ، سبحانه فهو الذي لا خير ولا راحة إلا في طاعته ، ولا ذل ولا شقاء إلا في مخالفة أمره ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ أتقى الناس لله ، وأخشاهم له ، وبعد ، ،

(٤)ورقة عمل:

فيا عباد الله ..

تعالوا بنا إلى أن نُنْزِل هذا الكلام الطيب الذي سمعناه على أرض الواقع ، كيف نتوب ونرجع إلى الله تعالى ،

قال الإمام النووي–رحمه الله– قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالي لا تتعلق بحق آدمي **فلها ثلاثة شروط:**

أحدهما: أن يُقلع عن المعصية. **الثاني:** أن يندم علي فعلها. **الثالث:** أن يعزم علي ألا يعود مرة أخري.

فإن فقد هذه الثلاثة لا تصح توبته ، وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة:

هذه الشروط الثلاثة ، وأن يبرأ من صاحبها؛ فإن كانت مالاً أو نحوه رده إليه، وإن كانت حد قذف ونحوه مكنه منه ، أو طلب عفوه، وإن كانت غيبة استحلها ، فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب وبقي عليه الباقي.

هذا وأسأل الله تعالى أن يتوب علينا، وأن يغفر لنا ذنوبنا ، وأن يكفر عنا سيئاتنا، إنه غفور رحيم .

كتبه

جمال علي يوسف فياض

إمام وخطيب بوزارة الأوقاف المصرية

ماجستير في الحديث الشريف وعلومه

٢ - رواه أحمد في الزهد.